الفصل الحادي عشر

لطف الله بالأمة الإسلامية

أمتنا خير أمة ورسولنا خير رسول، بُعث بأعظم كتاب ولهذه الأمة من الفضائل والمناقب والمآثر ما ليس لغيرها من الأمم فقد جعلها الله برحمته وفضله خير أمة أخرجت للناس، وخير الناس للناس، وأحرص الناس على الناس وأرحم الناس بالناس.

ومما زادني فخرًا وثيهًا ... وكدت بأخمصي أطأ الثريَّا
ودخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن أرسلت أحمد لي نبيًّا

لابد أن تعيش هذا المعني وتعتز بانتمائك لهذه الأمة العظيمة أمة الإسلام، لابد أن تعتز بدينك وأمتك وتوحيدك لربك جل جلاله.

نحن بالإسلام كنا خير معشر ... وحكمنا باسمه كسر قيصر
وغرسنا العدل في الدنيا فأثمر ... ورفعنا في العلا الله أكبر

ولله درُّ إقبال إذ يقول:

كنا جبالًا في الجبال وربما ... سرنا على موج البحار بحارًا
بمعابد الإفرنج كانت أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارًا
لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها ... سجداتنا والأرض تقذف نارًا
كنا نقدم للسيوف رءوسنا ... لم نخش يومًا غاشمًا جبارًا
ندعو جهارًا لا إله سوى الذي ... صنع الوجود وقدر الأقدارًا

ورؤوسنا يارب فوق أكفنا نرجو ثوابك مغنمًا وجوارًا

نعم كنا ولازلنا ولازال في الأمة ينابيع خير متدفقة، ولازالت في الأمة أنوار الحق تتلألأ، وروح الإسلام تسري، وسوف تزال أمتنا بخير وعلى خير حتى ينصرها الله ويعزها كما نصرها وأعزها أول مرة. هذا وعد الله لا نشك فيه ذرة ومن أصدق من الله قيلًا؟! ومن أوفى بعهده من الله؟! قال الله جل جلاله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ (الصف: ٩).

وقال جل ذكره: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ (النور: ٥٥).

والنصوص القرآنية والنبوية التي تبشر بنصرة هذا الدين كثيرة مشهورة معلومة. فاعتز أخي بأمتك، وتمسك بدينك، وانطلق بين الناس بحبك لربك ولرسوله، فأنت صاحب الحق وعلى قدر تمسكك بالحق ينصرك الله ويثبتك ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ ﴾ (غافر: ٥١).

وإليكم أحبتي، إخوتي، بعض فضائل هذه الأمة.

من فضائل أمة الإسلام

١- خير الأمم:

قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

فهم خير الناس للناس، وأنفع الناس للناس. قال رسول الله ﷺ: «ألا إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى»[(١)].

٢- عدول خيار شهداء على الناس:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

وقال رسول الله ﷺ: «يُدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ وأمته. فذلك قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا» قال: الوسط: العدل قال: فتدعون فتشهدون له بالبلاغ قال: ثم أشهد عليكم»[(٢)]. قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: واعلم أنه كما فضل نبينا على جميع الأنبياء فضلت أمتنا على سائر الأمم[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٠١).

(2) رواه البخاري برقم (٣٣٣٩).

(3) «التبصرة» (٣٩٦).

٣- الآخرون السابقون:

لئن كانت أمتنا هي آخر الأمم زمانًا فهي أعلى الأمم مكانة، وأول من يدخلون الجنة، قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق. فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له (قال يوم الجمعة) فاليوم لنا، وغدًا لليهود، وبعد غدٍ للنصارى»[(١)]. وفضائل الأمة كثيرة معلومة ولكن هذه مجرد إشارة قبل الدخول في المقصود الذي هو.

(١) رواه البخاري برقم (٨٧٦)، ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

obeikandl.com

مظاهر رحمة الله

بأمة محمد ﷺ

من كرامة الله لهذه الأمة أن اختصها بخصائص ليست للأمم قبلها، لأنها خير الأمم، وأعظم الأمم، وهذه بعض مشاهد رحمة الله بالأمة الإسلامية وهو المقصود من هذا الباب ثم هي تنضاف إلى الفضائل السابقة ومن علامات ومظاهر رحمة الله بالأمة ما يلي:

أولاً- أرسل إليها أعظم رسول:

وهذه من أعظم الكرامة والمكانة لهذه الأمة أن يرسل إليها خير الرسل وأعظم الرسل وآخر الرسل. ذلكم النبي العظيم الذي أرسله رحمة للعالمين. ذلكم النبي الخاتم الذي جعل الله الهداية في أمته من بعده إلى يوم القيامة: فلا يقبل من أحدٍ هديًا غير هدى محمدٍ ﷺ وإنما اكتسبت الأمة عظمتها من عظمة نبيها، وازداد فضلها بفضله، وعظمت مكانتها بعظمة مكانته يقول الحافظ ابن كثير تعليقًا على حديث سبق ذكره إلا وهو قول النبي ﷺ: «إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى».

قال ابن كثير في «التفسير»: وهو حديث مشهور وقد حسنه الترمذي، وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ، فإنه أشرف خلق الله، وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبيًا قبله، ولا

رسولًا من الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه[١].

يقول الشيخ الغزالي في «فقه السيرة»: وبعثة محمد ﷺ كانت عوضًا كاملًا عن إرسال جيش من النبيين يتوزع على الأعصار والأمصار، بل إنها سدَّت مسد إرسال ملك كريم إلى كل إنسان تدب على الأرض قدماه، ما بقيت على الأرض حياة، وما تطلعت عين إلى الهدى والنجاة[٢].

لقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليكون قُدوة وأُسوة للناس وحجة عليهم يوم القيامة، فإذا تخلقت أمته بأخلاقه وسارت على سنته وهديه حازت قصب السبق، ولم تدركها في العالمين أمة. فإذا فرطت الأمة في هدى نبيها أصابها من التخلف والضعف بقدر تفريطها. وتلك من أعظم الرحمة بالأمة أن يرسل إليها أفضل الرسل يهديها، ثم يوم القيامة تكون شفاعته لأمته. قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبيٍّ دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات لايشرك بالله شيئًا**»[٣].

---

(1) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» (٢٣٨).

(2) «فقه السيرة» (٢١).

(3) رواه مسلم برقم (١٩٩).

ثانيًا- أنزل إليها أعظم كتاب(١):

كما أن البدن لا يمكن أن يحيا بدون زوج فكذلك القلوب لا يمكن أن تحيا بدون القرآن قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

(الشورى: ٥٢)

وأنزل الله القرآن هداية للناس، وليخرج الله به البشر جميعًا من الظلمات إلى النور، هذا القرآن هو المعجزة الخالدة التي عجز البشر قديمًا وسوف يظلون عاجزين عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله. ويبقى القرآن محفوظًا من الزيادة والنقصان والتبديل قال الملك العظيم في كتابه الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

ومن جلال وعظمة القرآن أنه لو نزل على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله، فكيف بقلب من لحم ودم؟! في القرآن شفاء لما في الصدور من الوساوس والهواجس شفاء لأمراض القلوب كالحسد والحقد والنفاق وشهوة الزنا وغير ذلك ثم هو شفاء لأمراض البدن لكن ينجح هذا الدواء ويؤثر في القلوب المؤمنة وفي النفوس المؤمنة التي لا يخالجها ذرة شك فيه أن القرآن هو أعظم شفاء قال الله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾

(فصلت: ٤٤)

---

(1) بعض هذه العناصر اقتبستُها من خطبة لشيخي القدوة المبارك محمد حسين يعقوب بعنوان «نحن أمة رحومة».

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

(الإسراء:٨٢)

وبتدبر القرآن وبتلاوة القرآن يزداد الإيمان ويعظم اليقين في القلوب كما قال علاَّم الغيوب: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ (الأنفال:٢).

ولازال القرآن يؤثر في القلوب ويربي فيها الإيمان، ويغرس فيها الثقة والثبات، واليقين والتوكل، والصبر والرضا، يغرس فيها كل خير وينزع منها كل سوء وشر، فالقرآن كلام الله وفضله على الكلام البشر كفضل الله على خلقه. ففي القرآن معين السعادة، وينبوع الهدى، وفيه جلاء الأحزان، وشفاء الصدور، وتفريج الكروب، وربيع القلوب وسعادة الدنيا والآخرة. وأخسر الخلق صفقة وأضلهم سبيلًا، وأبعدهم عن الله من أعرض عن القرآن. فأقبل إلى كلام ربك تسعد وتفلح.

ثالثًا- تجاوز الله لها عن الخطأ والنسيان:

قال الله جل جلاله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة:٢٨٦).

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال الله: قد فعلت. وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما توسوس به صدورهم ما لم تعمل أو تتكلم به وما استكرهوا عليه»(١). وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها»(٢). فإذا

(1) رواه ابن ماجه والبيهقي وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (١٧٢٩).
(2) رواه مسلم برقم (٤٧٧).

ترك المسلم فرضًا ناسيًا أو فعل حرامًا ناسيًا، وارتكب نهيًا جاهلًا حكمه فلا يؤاخذ بذلك. قال رسول الله ﷺ: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب؛ فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»(١).

رابعًا- رفع الله عنها الإصر ولم يكلفها إلا بما تستطيع:

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

قال الله: «قد فعلتُ» كما ثبت في صحيح مسلم وجاءت الشريعة باليُسر الكامل في أحكامها تأكيدًا لهذه القاعدة العظيمة فمن عجز عن الصلاة قائمًا صلى قاعدًا ومن عجز أن يصلي قاعدًا صلى مضطجعًا قال رسول الله ﷺ لعمران بن حصين: صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»(٢).

وأسقط الله فريضة الصيام عن المريض والمسافر، ليصوم بعد ذلك إذا زال عذره ولكن رحمة من الله به لم يكلفه الصيام في السفر والمرض لما فيها من مشقة قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٤).

وإذا فقد الإنسان الماء تيمم بالتراب ويكفيه التيمم عن الغسل والوضوء رحمة من الله بأمة محمد ﷺ ثم ليصل المسلم في أي مكان على ظهر الأرض عدا المقبرة والحمام ومبارك الإبل فالأرض كلها مسجد لأمة رسول الله ﷺ، بل إذا لم

---

(1) رواه البخاري برقم (١٩٢٣)، ومسلم برقم (١١٥٥).

(2) رواه البخاري برقم (١١١٧).

يجد المسلم ماء ولا ترابًا صلَّى فاقد الطهورين يصلي بلا وضوء وبلا تيمم شاهد ذلك وما سبق ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من حيث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناسًا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فأنزل الله آية التيمم فقال أسيد بن حضير: جزاكِ الله خيرًا فوالله ما نزل بك أمرٌ قط إلا جعل الله لك منه مخرجًا، وجعل للمسلمين فيه بركة»(١).

وشرع الله للمسافر أن يقصر الصلاة الرباعية وأن يجمع بين الظهر والعصر. والمغرب والعشاء إذا أراد قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ (النساء: ١٠١).

ورخص الإسلام للمسلم أن يترك صلاة الجماعة في المسجد في المرض الشديد، وعند البرد والمطر، وعند حضور الطعام وعند مدافعة الأخبثين. عن نافع إن ابن عمر أذن بالصلاة في الليلة ذات بردٍ وريح ثم قال: ألا صلوا في الرجال ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يأمرُ المؤذن إذا كانت ليلة ذات بردٍ ومطر أن يقول: ألا صلوا في الرحال»(٢). وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء، ولا يعجل حتى يفرغ منه» وكان ابن عمر يوضع له الطعام وتقام الصلاة فلا يأتيها حتى يفرغ، وإنه ليسمع قراءة الإمام(٣)، وعن

(1) رواه البخاري برقم (٣٣٦)، ومسلم برقم (٣٦٧) واللفظ له.
(2) رواه البخاري (٦٦٦)، ومسلم (٦٩٧).
(3) رواه البخاري (٦٧٣)، ومسلم (٤٥٩).

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافع الأخبثين»(١).

وعند اشتداد الحر شرع الإسلام استحبابًا تأخير صلاة الظهر حتى تنكسر حدة الحرارة قال رسول الله ﷺ: «**إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة؛ فإن شدة الحر من فيح جهنم**»(٢). وعند اشتداد البرد شرع الإسلام المسح على الخفين وعلى العمامة لحديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ توضأ ومسح على الجوربين والنعلين»(٣).

وهكذا تكون رحمة الله ولطفه بخلقه قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

قال الحافظ ابن كثير عليه رحمة الحكيم الخبير في كتاب «التفسير»: أي لا يكلف أحدًا فوق طاقته، وهذا من لطفه بخلقه، ورأفته بهم وإحسانه إليهم. وهذه هي الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» أي هو إن حاسب وسأل لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه، أما ما لا يمكن دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الإنسان، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان(٤).

خامسًا- نحن أكثر أهل الجنة ومنا سبعون ألفًا يدخلون الجنة

---

(١) رواه مسلم برقم (٥٦٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٣٣)، ومسلم برقم (٦١٥).

(٣) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني كما في «الإرواء» رقم (١٠١).

(٤) «المصباح المنير» (٢٠٤).

بغير حساب:

قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»(١).

وهم أول من يدخل الجنة كما سبق. ومن هذه الأمة سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب قال رسول الله ﷺ: «عرضت علَّي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سوادٌ عظيم فظننتُ أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقالت: أنت منهم»، ثم قام رجلٌ آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة»(٢).

ومن أجل ما يسعد القلب ويبهج النفس ويمتع الروح، ويفرحُ المسلم هذا الحديث الآتي قال رسول الله ﷺ: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي

---

(1) رواه أحمد وابن ماجة والترمذي وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (٢٥٢٦).

(2) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربي»[١].

ملاحظة هامة: لفظة (لا يرقون) في الحديث قبل السابق انفرد بها الإمام مسلم دون البخاري لذا حكم بعض العلماء بأنها زيادة شاذة لا تصح، وذهب بعض العلماء إلى أنها صحيحة وأن معنى لا يرقون أي لا يرقون الرقى الشركية[٢].

سادسًا- أجار الله الأمة من الاجتماع على ضلالة:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة»[٣]. فسبيل الأمة معلوم قرآن وسنة من تمسك بها اهتدى ومن أعرض عنهما فهو في ضلالٍ مبين، ويقدم فهم السلف الصالحين في فهم النصوص فهم الأعلم منا والأتقى لله عَزَّ وَجَلَّ وهم خير هذه الأمة كما قال رسول الله ﷺ «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[٤]. فهذه الأمة عصمها ربنا جل جلاله من الوقوع بمجموعها في الزلل والضلال بل لا تزال طائفة منها لأن أمتنا قائمة على الحق إلى قيام الساعة أمة مرحومة قال رسول الله ﷺ: «أمتي هذه الأمة مرحومة، ليس عليها عذابٌ في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا»[٥].

---

(1) رواه أحمد والترمذي وابن حبان وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧١١١).

(2) راجع شرح هذا الحديث في فتح الباري، وشرح النووي على مسلم، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين وفتح المجيد ففيه فوائد عظيمة جدًا ولولا مخافة الإطالة والخروج عن المقصود لذكرتها.

(3) رواه ابن أبي عاصم وحسنه الألباني كما في «صحيح الجامع» (١٧٨٦).

(4) رواه البخاري برقم (٣٦٥٠)، ومسلم برقم (٢٥٣٥).

(5) رواه أبو داود والطبراني والحاكم عن أبي موسى كما في «صحيح الجامع» رقم (١٣٩٦).

أبدًا لن تجتمع الأمة على ضلالة لأنها مرحومة محفوظة بحفظ الله لها ولذا يرسل الله تعالى من يجدد للأمة أمر دينها كل مائة سنة لطفًا من الله بالأمة، وحفظًا من الله لأمة حبيبه المصطفى ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[١].

سابعًا- فتح الله باب التوبة ليلاً ونهارًا:

ففي أي وقت وبدون أي وسطات، وبدون اللجوء لأي بشر يستطيع المسلم أن يتوجه إلى ربه ويتوب إليه فيتوب الله عليه. فباب التوبة مفتوح للأمة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها أو حتى تبلغ الروح الحلقوم قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[٢]. وقال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[٣]. لا يحتاج المسلم أبدًا أن يفضح نفسه، ويذكر ذنوبه لبشر بل يستر نفسه ويتوب في أي وقت. فاللهم تب علينا توبة نصوحًا ترضيك عنا.

ثامنًا- لا تزال ينابيع الخير تتفجر في الأمة:

لن ينضب أبدًا معين الأمة الثَّرّ الفياض بالخير دائمًا مهما لمحت على سطح الواقع من مظاهر للتفلت من الدين فإن الخير باق في الأمة. لا يزال وسوف يزال فيها مخلصون، متقون يقتدي بهم المقتدون، ويهتدي بهديهم المهتدون. فوجود الخير في الأمة

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٧٤).

(2) رواه مسلم برقم (٢٧٥٩).

(3) رواه مسلم برقم (٢٧٠٣).

رحمة من الله بها، ولطف من الله بأبنائها. قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يُدري أوله خيرٌ»[١]. أمتنا أمة معطاءة ولو يخرج من بين أحضانها كل يوم حفظة للقرآن ودعاة إلى الله والخير فيها متصل لكن القضية التي نريدها أن نكثر الخير ونردع السوء فلابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تحتفظ الأمة ببهاء الإيمان، ونعيم الطاعة لله جل جلاله.

تاسعاً- وفي الآخرة هيئة فريدة مميزة:

إن المسلمين يسيرون في أرض المحشر يوم القيامة بسمات تميزها عن غيرها. إنها علامة خير يعرفهم بها رسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي مقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد» قالوا: كيف تعرف من لم يأتوا بعدُ من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلًا له خيلٌ غُرٌّ محجلة بين ظهري خيل دُهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإنهم يأتون غُرًّا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض»[٢]. وانظر كيف يكون هذا الوضوء كفارة للذنوب والخطايا رحمة بهذه الأمة. قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»[٣].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٥٤).

(2) رواه مسلم برقم (٢٤٩).

(3) رواه مسلم برقم (٢٤٥).

وفي صحيح مسلم أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «وإذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب»[1].

هذه بعض مظاهر رحمة الله بأمة حبيبه محمد ﷺ وهناك فوق هذا مزيد لمن أراد ولكن نخشى الإطالة، فنكتفي بذلك لعل فيه بيانًا للمقصود، والحمد لله الذي جعلنا من خير أمة، وأكرمنا بالإسلام وشَّرفنا به ونسأله سبحانه أن يحفظنا بالإسلام قائمين راقدين وأن يرزقنا قبل الموت توبة وعند الموت شهادة، وبعد الموت نعيمًا ورضوانًا.

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٤).

obeikandl.com